
12me Année No. 557

Lundi - 6 - 3 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٥٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

العلم التبشـــيرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدرس العلمي يخدم الحقيقة ويبحث عنها ويرحب بها ولا يكره إظهارها حيث كانت فى مذهب من المذاهب أو إنسان من الناس

أما الدرس الذى يكره إظهار الحقيقة لأنها تخص مذهباً غير مذهبه ، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده ، فليس ذلك بدرس علمى ولا بعلم ، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول .

ومن هـذا القبيل درس كاتب فى مجلة « المقتطف » يستره بدعوى العلم الصرف وما هو بمستور ، ويمزجه بنوازع التعصب الخفى عامداً أو غير عامد وما بها من خفاء

كتبنا عن عائشة كتابنا « الصديقة بنت الصديق » وعقدنا فيه الفصول لنقول إنها رضى الله عنها كانت امرأة تامة الأنوثة فى طبيعتها وخلائقها . فأعجب كاتب المقتطف بهذه الطريقة وقال من عنده : « . . . ومن محاسن هـذه الطريقة أن المترجم مهما يعظم ويخطر ينزّل منزلة الإنسان . فالسيدة عائشـة على فضلها أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط فى الغيرة حتى أنهـا لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به ، وإنها ذات حدة طبعية ، وإنها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها ،

وإنها مالت إلى ذوى قرباها فى أمر الخلافة »

انتهى كلام كاتب المقتطف الذى يصطنع الدراسة العلمية وما هو منها فى غير باب الفهارس والمناوين

ونحن لم نقل إن السيدة عائشة حملت الحقد أو دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته ؛ بهذه عبارات الكاتب راقه أن يعبر بها عما أراده ، وبينها وبين ما ذكرناه فرق محسوس

إلى هنا نحن علماء ، وطريقتنا فى النقد لها محاسن ؛ ولكننا على ما يظهر لا نكون علماء ولا تعرف لطريقتنا حسنة إلا إذا وقفنا عند هذا الحد فى الكتاب كله من ألفه إلى يائه . فأما إذا أسفر النقد عن محمدة أو عن تبرئة من مذمة فقد كفرنا بالعلم وخرجنا من محاسن الطريقة إلى السيئات

ولهذا عاد كاتب الفهارس والمناوين يقول : « وتلك مزية فى الإنشاء قد تحرّف المنشئ إلى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالإحساسات البشرية الصادقة الصافية ... »

إلى أن يقول : « غير أن هذا الضرب من الإنشاء ربما كان مسافة إلى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب إليه المؤلف لما عرض لقصة الإفك ، فاجتهد فى الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول ، وربما لج فى استخراج هذه ، وأبعد فى استنباط تلك ، حتى أنه يمسى فى مدارج المجاذبة والمدافعة مدرهاً لا باحثاً ... »

ومعنى ذلك أننا أخطأنا لأننا نقضنا حديث الإفك وأسهبنا فى نقضه ، وإننا كنا نوافق العلم إذا رويناه ولم نعقب عليه ، أو كان قصارانا فى التعقيب عليه أن نقول : « إن قصة الإفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد ... »

إذن نكون علماء ولا نكون مدرهين مدافعين ... !

وإذن يقر « العلم العبشيزى » عيناً لأنه يستطيع أن يصيح يومئذ بين من يستمعون إليه : « أيها الناس ! هذا قصارى ما يملكه الباحث فى حياة السيدة عائشة من تفنيد لحديث الإفك وإبطال لدعوى المفترين عليها ، ولو كان عندهم مزيد من التفنيد والتصحيح لجاءوا به ولم يسكتوا عنه »

وهذا هو العلم اللذيذ الشهى المعجب المطرب الذى يبرئنا من اللجاجة ولا يؤخذ علينا فيه عيب القدرة على الجدال

أما العلم الذى يسهب فى تصحيح حديث الإفك دفاعاً عن سمعة السيدة عائشة فهو علم كريه بغيض عند المبشرين وأشباه المبشرين

هكذا يريدها كاتب « المقتطف » الذى يصطنع الدراسة العلمية لينفذ منها إلى هذه المآرب الخفية على ظنه ، وما هى بخفية

إذ الواقع أن المسألة هنا أظهر من أن يسترها هذا البرقع المزق المشنوء ، وأن العلم الصحيح ، والأدب الصحيح ، براء من هذا العوج البين فى التفكير والتقدير

الواقع أن الإسهاب فى تصحيح حديث الإفك واجب على نلام على إهماله أو التقصير فيه ، لأننا نكتب عن « شخصية » السيدة عائشة فلا نكون قد صنعنا شيئاً إذا نحن لم نمحص خلائقها ولم نظهر مقدار الصدق أو البطلان فيما يقال عنها

وكل ما يجب علينا أن نثبت مقال الخصوم فلا نحذف منه شيئاً ، وأن نعرضه على مقاطع الحجج أو مواضع الاحتمال والترجيح فلا نغفل منها شيئاً ، ثم نقابل بين الكفتين لندل على الراجحة منهما والمرجوحة ، دون أن نكره القارئ على التصديق بغير برهان . وهذا ما صنعناه

وهذا الذى يعده الكاتب الذى حرمه الله الذوق والفهم لجاجة وخروجاً من وظيفة البحث العلمى إلى وظيفة الدفاع

ومن الواضح أن الباحث العلمى مطالب بالالتفات إلى البراهين القاطعة والوقائع الحاسمة كما هو مطالب بالالتفات إلى القرائن المرجحة والأدلة المحتملة ، فلا يلام على قرينة لأنها غير قاطعة ، ولا على دليل لأنه غير حاسم ، ولكنه يلام إذا أهمل شيئاً من ذلك أو أثبته ثم أعطاه حظاً من القوة غير حظه الذى يحتويه

ونحن قد أتينا بكل ما يخطر على البال من جانبى المقال ، ولم نبالغ قط فى قيمة ترجيح أو احتمال ، فقيل إنه خروج من البحث إلى الجدال

ولكن ما هو البحث الخالص البرىء الذى لا جدال فيه يا ترى ؟

هو الإسهاب فى متابعة كل حجة وكل قرينة للتشكيك والتوهين ، إذ التشكيك والتوهين هما العلم الذى لا جدال فيه ...

أما التصحيح والتبرئة فهما الجدال الذي يعاب على الباحثين والعلماء ... !

وهذه أمثلة من إسهاب كاتب « المقتطف » الذي برئ من الفهم والذوق وصراحة التفكير واستقامة القياس

قال بمنينا :

« من ذلك أنه أول شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الأفك عند المرجفين — تأويلاً متزيداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه إلى خبر لا ندرى ما يكون . وتفصيل ذلك أن المؤلف نقل أن امرأة صفوان شكته إلى النبي لأنه ينام ولا يصلي الصبح قبل طلوع الشمس ، ثم زاد : وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النوم كناية عن أمر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا إنه كان حصوراً لا يأتي النساء »

نقل كاتب المقتطف ما تقدم من كتابنا ثم قال : « والذي عندي أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارة نحو الكناية ، ولو كانت فارة لكان النبي الزكن فطن للأمر ، فما قال لصفوان على جهة التصريح : إذا استيقظت فصل ... ! »

فكل ما قلناه نحن أن الباحث يحسن به أن يوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها ، وهو أنها تكنى بنومه إلى ما بعد طلوع الشمس إلى إهماله واجب الزوجية ، ولا تحب أن تصرح بما أرادت ، لأن التصريح قد يخجل المرأة في مجلس الرجال

لم نقل أن هذا القصد هو كل معاني الكلمة ، بل قلنا إنه بعض معانيها ، ولم نشأ أن نزيد على ذلك كثيراً ولا قليلاً ، ولو شئنا لزدنا وقلنا إن المرأة لم ترد إلا ما أشرنا إليه ، وإلا فما شأنها هي بصلاته بعد طلوع الشمس إذا كان ذلك جائزاً في الدين ؟

لكننا مع هذا وقفنا عند حد الاحتمال الجائز ولم نزد عليه ، فإذا بهذا المطموس ينكر الكناية هنا كل الإنكار بدليل لا يخطر إلا على خاطر كليل وذهن عليل ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لصفوان بعد أن سمع شكاية امرأته : إذا استيقظت فصل !

فيأيها المطموس مرة أخرى ! بماذا تريد أن يجيبها النبي وهو يخاطب بذلك الكلام على سبيل الكناية ؟

أتريد من النبي الزكن الفطن أن تخاطبه امرأة خجلى كناية وتعريضاً فيجيبها على الملأ بما هربت منه وأبت أن تذكره على سبيل التصريح ؟

أهذا هو البحث الذي لا لجاجة فيه ؟ وهذا هو التدليل الذي لا يحسب من الجدال ؟

ثم أبي هذا الكاتب المطموس البصيرة أن يكون صفوان حصوراً بالمعنى الذي يبرئ السيدة عائشة فقال :

« وأما قصة الحصر فليست بالحجة القاطعة . فالذي في سيرة ابن هشام أن عائشة إنما كانت تقول : لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء ... ثم أضف إلى هذا الاستدلال الخبري واللغوي أن الذي ذكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلماً ما انبث حديث الإفك » إلى آخر ما قال

فلماذا يرد هذا على ذهن الكاتب المطموس ولا يرد على ذهنه أن ابن المعطل لو كان أمر حصره باطلاً معروفاً لما شاع عنه أنه حصور ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله ذرية غير متهمة ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله امرأة نعلم هي على الأقل أن الاتهام باطل وأن هذا الاتهام الباطل دليل على شيء مخبوء ؟

لماذا خطر له أن أصحاب حديث الإفك لن يشيعوا ما ينقضه البرهان ؟ ولم يخطر له أنهم قد يشيعون ذلك اعتماداً على التباس التهمة التي تحتمل كل التباس ؟

لماذا ؟ ... ألعلم الذي لا جدل فيه ، أم لشهوة النفس التي لا علم فيها ولا أمانة للحق والتاريخ ؟

وخلاصة هذه الأمثلة أن المسألة مكشوفة لا يجدي في مداراتها اللغط بألفاظ البحث والعلم والاستقراء ، فإنما يكون الاستقراء علمياً عند هذا الكاتب وأمثاله كلما أفضى إلى تشكيك واسترابة ، ولا يكون الاستقراء علمياً ولا محموداً ولا واجباً على الباحث أن يلم به إلماماً في عرض الطريق كلما أفضى إلى تبرئة وتعظيم

وإذا قلنا إن السيدة عائشة مؤمنة بنبوة محمد عليه السلام

ظهر في سيرتها جميعاً لم يفهم ى هذه الدلالة وراح يقول : ألا يخطئ المؤمنون والمؤمنات ويفوته أن المسألة هنا ليست مسألة الخطأ بل مسألة الشك في ـم النبي بالخطأ من طريق الوحي والإلهام . ومن واجب الباحث ن يستبعد وقوع الخطأ من هذا القبيل ، لأنه لم يحدث قط حياة الأنبياء ، ولأن الإغراء الذي يقاوم كل هذه الموانع غير ـوجود ولا مفروض في حديث الإفك السخيف الذي لا برهان عليه

* * *

وبعد ، فإن كنا نأسف لشيء فإنما نأسف لمجلة «كالمقتطف» أن تتورط في مثل هذا الإسفاف وقد تنزهت عنه في أيدي كتابها الأفاضل حقبة من الزمان ، وأن تسلم زمامها إلى هازلين يعبثون بكرامتها ويخرجون بها عن سوائها وهم ما هم من قلة الفهم وقلة الذوق وقلة الإنصاف ، وحظهم من حب العلم والحقيقة ما رأيناه ، وهو حظ يلحقهم بدعاة التبشير ويخرجهم من زمرة كتاب المقتطف المعهودين ، وللقائمين على المقتطف أن يختاروا لمجلتهم ما يحلو لهم من معيز ، ولكن القراء أيقاظ لا يغفلون .

عباس محمود العقاد

في الرملة البيضاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دعيت حينما حللت بيت ـس إلى زيارة إخوان كرام في الرملة ويافا ، وقد صادفت ا وة شوقاً في النفس وحنيناً ، ولبثت أرتقب الفرصة حتى حـ قد أفلتت . وبينا أنا بالمسجد الأقصى يوم الجمعة الذي حدثت في مقالي عن المسجد المبارك ، شكوت إلى الصديق الكريم ى ذكرته قبلا وقلت إن وجهه لا يغيب عن مشهد من مشاهد ا ، مافاتني من السرور بما أملت من زيارة إخوان كرام في مواطن عة ، وقلت ضاق الوقت فالرحيل بعد غد . قال : وما عليك إذا ز ـ المدينتين غداً وركبت الطائرة بعد غد من اللد دون الرجوع بيت القدس ؟ إن في الوقت سعة لإدراك بغيتك ، وتأدية ر ـباك ، ونذهب معاً إن شاء الله فارقنا بيت القدس ظهر ـبت الخامس والعشرين من رمضان نؤم الرملة ، وسارت السيارة في أودية فلسطين وشعابها ، وأفضنا نحن في شعاب من الحديث وأودية نفصلها على ما نرى من مشاهد جميلة ، وما نمر عليه من زروع وأشجار وجبال وقرى ، وما يوحي به أولئك من ذكر وعبر بين الماضي والحاضر حتى أوفينا على المدينة الكريمة .

نزلنا في دار البنك ، بنك الأمة العربية . ولهذا البنك دُور في أمهات مدن فلسطين ، فسرني ما رأيت من صور تاريخنا على الجدران ، وما توسمت من صور جهادنا الحاضر في أعمال البنك وحسابه . وكم فرّج هذا المصرف من كرب ، وكم محا من يأس ، وكم عصم من مال وأرض ، وكم جمع الكلمات المتفرقة ، وألّف الأهواء الشتيتة . وإن رجاءنا في مستقبله أعظم من اغتباطنا بماضيه ، وابتهاجنا بحاضره . وجزى الله خيراً كل من ساهم في الذود عن هـذه الأمة بعقل مدبر ، أو يد عاملة ، أو لسان ناصح ، أو مال نافع .

ثم سار بنا الشوق والسرور إلى دار الأخ الصديق المجاهد محمد يعقوب الغصين ، فنعمنا حيناً بالجلوس مع الأخ الكريم ، وجماعة من وجوه الرملة أتوا مسلمين . نضر الله هـذه الوجوه ورعاها . وكانت مطامعنا قد اتسعت لأن نزور المدينتين ، ونجيب الدعوتين ، ونقضي الفرضين في يوم واحد . فلما لقينا الوجوه الكريمة ، وأفضنا في أفانين الحديث ، عرفنا أن ما بقي من إقامتنا في فلسطين لا يتسع لأداء فرض واحد من فروض كثيرة تلزمنا بنزولنا الرملة ، فأقصرنا عن زيارة يافا أسفين آملين أن تيسر لنا فرصة نزور فيها يافا والرملة أيضاً

خرجت في المشيّ في صحبة الصديق الكريم أحمد حلمي باشا لنتجول في الرملة وما حولها على قدر ما تأذن لنا بقية نهار من رمضان فذهبنا إلى أطلال مسجد كبير تدل رسومه وبقايا جُدُره وأسطواناته ، ومكانُ المحراب من هذه البقايا ، أنه كان من أعظم الجوامع الإسلامية وأفسحها كجامع بني أمية في دمشق ، وجامع المعتصم في سامرا ، وجامع ابن طولون في مصر أو أوسع . ولا يبنى مثل هذا الجامع إلا في مدينة كبيرة عامرة . وكذلك كانت الرملة البيضاء . فقد مـّصرها سليمان بن عبد الملك وهو وال على فلسطين من قبَل

أخيه الوليد ، ثم عني بعمارتها بعد أن آلت إليه الخلافة ، ودعا الناس إلى البناء فيهـا فاتسعت وعظمت . وقد روى ياقوت أن سليمان أراد أن يخلد ذكره بمدينة الرملة ومسجدها كما خلد ذكر أبيه عبد الملك بقبة الصخرة ، وذكر أخيه الوليد بجامع دمشق . وحسب جامع الرملة أن يكون صنو جامع دمشق ، وبيت القدس . ما هذه الأساطين والجدر إلا بقية العراك المديد بين الحادثات المدمّرة وهذا المسجد العظيم ، قامت كما يثبت المجاهدون الصابرون للخطوب الجسيمة ، والأرزاء العظيمة

وقد تداولت الرملة أحداث الدهر أيام الحروب الصليبية حتى أنقذها من الفرنج السلطان صلاح الدين عام ثلاث وثمانين وخمسمائة ؛ ثم اضطر إلى أن يخربها بعد أربع سنين حذرا أن يستولى عليه الفرنج مرة أخرى . وناهيك بالمحن التي تضطر صلاح الدين إلى إخراب مثل هذه المدينة !

وفي شمالي ساحة الجامع منارة عظيمة عالية مربعة مبنية بالحجارة الضخمة المهندسة بناها الملك الناصر محمد بن قلاون وكأنه أراد أن يجعلها مئذنة ومنارة أو مرقبا لمراقبة السفن القادمة إلى سواحل فلسطين . على المنارة كتابة واضحة فيها اسم الملك الناصر وألقابه ، وتاريخ بنائها سنة ثماني عشرة وسبعمائة . والمنارة قائمة وحدها مفردة ، كأنها رمز للتوحيد ثابت على مر الزمان ، أو علم للإيمان القوي الذي لا يقهره تقلب الحدثان . كم شهدت هذه المنارة من الغِيَر ، ورأت من أحداث القدر ، وتاريخ البشر ! وليت شعري ماذا تروى من أخبار السلف ، وماذا تنقم من أفعال الخلف ؟

فارقت هذه الآثار قائلاً : رحم الله بني أمية ، وهذا أيضاً من آثارهم ، منشداً في هذه الآثار المخذولة ، وذاك الحي المستباح قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مرج راهط
ورملة لُدّ أن تباح سهولها

ذاكرا الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي ما تزال آثاره في مصر والشام شاهدة بمآثره ، ناطقة بمحامده

ثم جلنا ساعة في الأودية القريبة من المدينة والمزارع والمشاجر الناضرة الفيحاء ، ومررنا بوادي حنين

قال الباشا : هنا بستان للأخ الكريم الأستاذ محمد علي الطاهر يقضي علينا الوفاء أن نراه لنعرف كيف تعهّداه والعناية به . والبستان في ربوة يؤدي إليه طريق صاعد ضيق . قال الباشا : إن سائقنا يشفق من هذا الطريق ، فكلما مررت على مقربة منه أسرع آملاً ألا أذكر البستان إلا بعد أن يبعد عنه فيستريح من مشقة الإصعاد إليه وتخلل المسلك الضيق بالسيارة . وقد أدركت حيلته فهددته أن أخبر الأستاذ الطاهر ليهجوه بمقال أو مقالين . سرنا بين بساتين يانعة كثيفة الشجر ، كثيرة الثمر ، حتى انتهينا إلى بستان أخينا فدخلناه وتخللناه ، فوجدناه حديث عهد بريّ ، وسرنا أن وجدناه مع ما أدركه من حرفة الأدب التي جملته أقل نضارة من جاره ، مخضرا تنوء أشجاره بما حملته . أخذنا غصناً من البرتقال فيه تسع حبات متراكبة كعنقود العنب ، وغصناً من الليمون الهندي الذي يسمى جريب فروت[(1)] فيه خمس حبات كذلك ، قلت أنعم بها من بشرى نحملها إلى الصديق في القاهرة ، وهدية نطرفه بها من بساتينه الناضرة ، وقد حرصت عليها وحملتها في الطائرة متيمناً بها ، أراها أغصان نضارة وسلامة ، ورمز عناية بالصديق وكرامة ، وتضفيراً للصلة بين مصر وفلسطين . وما أحسبني فرحت بهدية حملتها ، ولا الأخ الطاهر سرّ بهدية حملت إليه ، سرورنا بهذه الهدية الخضراء الجميلة التي حملتها الرياح من الرملة إلى القاهرة

وعدنا إلى دار ضيافتنا للإفطار وصلينا في مصلّى في الدار به ضريح يقال إنه ضريح أبي يزيد البسطامي الصوفي المعروف . وما عرفنا في تاريخ أبي يزيد أنه جاء إلى الرملة ، بل قبره في بسطام بلده معروف يقصده الزوار من الأرجاء ، ولا سيما الصوفية حتى اليوم ؛ ولعله ضريح بُني على ذكر أبي يزيد ، أو قبر صوفي آخر من البسطامية أتباعه غلبه على قبره صيت شيخه . وقد قرأنا في تاريخ الصوفية أن أول من عرف منهم بهذا الاسم صوفي اسمه أبو هاشم اتخذ صومعة في مدينة الرملة وتوفي سنة ١٥٠ فهل هذا قبره ؟ لم يتسع مقالنا للبحث في هذا الشأن

وبعد العشاء ذهبنا إلى دار الشبان المسلمين فلقينا جمعاً من الشبان حاشداً وعلمنا أنهم لم يجتمعوا منذ سبع سنين ؛ فرحت

(1) grups fruit

دراسات عن مقد مة ابن خلدون

الأستاذ ساط لحصري

للأستاذ در خشبة

عندما فرغت في العام الما من قراءة الجزء الأول من كتاب الأستاذ الجليل ساطع لحصري (أبو خلدون) عن مقدمة (ابن خلدون) أيقنت أ لم أضع وقتي سدى في قراءة هـذا الكتاب الثمين ، وأيقنت ابن خلدون جدير بأن يوليه مفكرونا وكتابنا عنايتهم ، كما يولي فكر والغرب وكتابه عنايتهم على الأقل ، وإن كان واجبنا يقت نا أن نسبقهم إلى ذلك ونبزهم فيه ... فليس كثيراً على ابن ون أن يكتب فيه الدكتور طه حسين رسالة يكسرها على فلسـ ه الاجتماعية ، ثم يأتي الأستاذ عبد الله عنان فينقل إلى العربي تلك الرسالة ، ويزيد فيضع كتاباً جديداً عن حياة ابن خلد وتراثه الفكري ، ثم يتفرغ الأستاذ أبو خلدون لوضع مؤلفه شامل عن مقدمة ابن خلدون فيملأ أيدينا ووعينا ببحث عجيب مستفيض عن هذا الرجل العبقري الذي يعتبر بحق نابغة الأمة العربية في علم الاجتماع ،

وقد أصدر الأسـتاذ ساطع بك الجزء الثاني من بحثه القيم عن المقدمة هذا العام (١٩٤٤) ، وما كدنا نراه حتى أكببنا عليه نتلوه ، بل ندرسه ، في شغف وفي شوق وفي إعجاب

تناول المؤلف في الجزء الأول موقف ابن خلدون من الكهانة والنجامة والسحر ومشيئة الله ، والأدوار التي لعبتها هـذه الأشياء في التاريخ ؛ ثم نبذة شاملة عن حياة ابن خلدون لم يقتصر فيها على ما كتبه المؤرخ عن نفسه في الرسالة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتي تنقص تاريخ فترة طويلة من حياته تبلغ إحدى عشرة سنة إلى وفاته ؛ ثم تاريخ كتابة المقدمة وشعور ابن خلدون بأنه إنمـا استحدث في علم التاريخ حدثاً جديداً لم يسبقه إليه أحد ، وانتقل إلى ما حدث من إهمال المؤرخين العرب للأسس التي وضعها ابن خلدون في مقدمته لعلمي التاريخ والاجتماع وما كان من تنبه المؤرخين العثمانيين إليها آخر الأمر ، وانتفاعهم بها في وضع تواريخهم ، وذلك من نعيما صاحب التاريخ المعروف إلى عبد الرحمن شرف المؤرخ الرسمي الأخير ، مما أدى إلى ترجمة المقدمة إلى التركية قبل ترجمتها إلى أية لغة أوربية بنحو من قرن كامل ، ثم تناول بعد ذلك لغة المقدمة فشرح نظرية النقد التفسيري شرحاً لم يسبقه إليه أحـد في العربية ، وفسر لنا

عقدهم ، وباعدت بينهم ، ومنتهى الالتئام في مثل هذا الجمع ، حوادث الحرب وما قبل الحرب من الثورة والجهاد ، وممارسـة الخطوب الشداد ، فما كان أعظم غبطتي ، وما كان أسعد جدّي أن كانت زورتي المدينة الكريمة مقرونة باجتماع الشمل ، وانتظام الجمع . تكلم صديقنا المجاهد محمد يعقوب الغصين وتكلم عدة من كرام الشبان فأفاضوا ما شاء أدبهم وكرمهم محيين المجاهد الكريم ، والزعيم الاقتصادي أحمد حلمي باشا والضيف المصري الذي لا يرى نفسه في فلسطين ضيفاً ، ولا يعد القاهرة أولى به من الرملة . وتكلمت على وجوه يعرفها قلبي وإن لم تشهدها عيني مستمداً من تاريخنا ومآثرنا وأخلاقنا وعزائمنا ما يثبتنا في هذه المحن ، ويربط على قلوبنا في هـذه الفتن ، ويجمع الكلمة في هذه المصائب ، ويؤلف العزائم لهذه النوائب ، وألقيت إليهم من تاريخنا وأخلاقنا وأواصرنا مقاليد المستقبل الكريم ،

الوضاء الذي يبسم في أعقاب هـذه الظلمات ، ويتنفس من وراء تلك الكربات . ومن وراء كلامي ما يضيق عنه الكلام ، وتتلقفه عن الوجدان الأفهام . لقد كانت ساعة جليلة لا تزال تضيء في جوانحي ، وتشتعل في سرائري .

أصبحت إلى مطار اللد في صحبة إخواني الكرام أتمثل بقول القائل :

ونكرم جارنا ما دام فينـا ونتبعه الكرامة حيث مالا

وأنشد قول أبي الطيب في طريقه إلى مصر :

إذا السحاب زفته الريح مرتفعاً

فلا عدا الرملة البيضاء من بلد

عرجنا على بنك الأمة العربية في اللد فلبثنا حتى سرنا إلى المطار وقد قصصت قصته من قبل في حديث عن الطيران من اللد إلى القاهرة

عبد الوهاب عزام

بعض العبارات التى تعيننا على فهم أسلوب ابن خلدون ومقاصده من كثير من العبارات التى خرج بها على المعانى المألوفة لها مما يحدث التباساً فى مسايرته إلى أغراضه إن لم نلم بها قبل قراءة المقدمة ، وهذا فضل لم نر بداً من تسجيله للأستاذ ساطع فى هذه الكلمة السريعة الموجزة . ثم يستطرد بعد هـذا فجأة إلى نسب ابن خلدون ، ويناقش الدكتور طه حسين فيما ذهب إليه من شك ابن خلدون نفسه فى نسبه ، كما يناقش الأستاذ عنان أيضاً فى هذه المسئلة . ونرجو أن تكون لنا عودة بصدد هذه المناقشات

وفى القسم الثانى من الجزء الأول يتناول الأستاذ الجليل مكانة المقدمة فى تاريخ « فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع » ويحدثنا عن فيكو وآرائه ، كما يحدثنا عن مونتسكيو ونظرياته ، مقارناً بينهما وبين ابن خلدون ، ومكانة ابن خلدون من علم الاجتماع ونظرة علماء أوربا إلى نابغة العرب . والأستاذ ساطع يثير إعجاب القارىء إلى أقصى حد بسعة إطلاعه وجهوده العميقة الموفقة التى بذلها فى هذا القسم من أقسام الكتاب ، فهو يلفتك إلى عشرات وعشرات من المراجع الهامة التى يضع بين يديك خلاصتها ، ويثير فيك فضول الاطلاع بالرجوع إليها ، فمن أروع ما أثبته هنا خلاصة ما كتبه (روبرت فلنث) عن ابن خلدون وتفضيله على جميع أنداده ممن كتبوا فى فلسفة التاريخ . ولا يفوتنا ونحن نكتب هذه اللمحة ، أن نعارض بشدة ما أورده « فيكو » من أن العبرانيين ، ثم الكلدان ، ثم الأسكيت ، ثم الفينيقيين أقدم جميعاً من المصريين ... لقد بطلت هذه النظرية أتم البطلان ، وأثبتت مجموعة البدارى الأثرية التى يرجع عهدها إلى ما قبل خمسة عشر ألف سنة ، كما أثبتت مئات الشواهد التاريخية الأخرى أن المصريين هم أقدم أمة على وجه الأرض

ويتناول القسم الثالث من الجزء الأول (آراء ابن خلدون ونظرياته) فيحدثنا عن موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ ، وطبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم ، والقسر الاجتماعى والتقليد وطبائع الأمم وسجاياها ، ونظرية العصبية والخط والكتابة . وقد ذكرتنا معظم هذه الفصول برأى لنا قديم نشرناه[1] عن تلمذة ابن خلدون لإخوان الصفا فى رسائلهم المشهورة ، وانتفاعه بما جاء فى هذه الرسائل ، ولا سيما عن تأثر طبائع الأمم وسجاياها ببيئة الإقليم ومناخه وهوائه ومحصولاته وأثر الجوع والخصب فى أخلاق الشعوب ودياناتها ، كما ألمعنا إلى أوجه الشبه بين ما قرره إخوان الصفاء فى رسائلهم عن الزهد ودرجات الناس ، وعلاقات أولياء الله وكيف آتاهم الله القدرة على إدراك الغيب ومعرفة بواطن الأمور ، وما ذهب إليه ابن خلدون فى هذه الأمور جميعاً مما يشبه أن يكون نقلاً أو اقتباساً عن إخوان الصفاء . وكذلك ما كتبه ابن خلدون عن النجامة فهو يشبه ، إن لم يكن هو ، ما قرره إخوان الصفاء من قبل ... وكم كان يسعدنا أن يتنبه إلى هذه الملاحظة الهامة كتابنا الأجلاء الذين ألفوا عن ابن خلدون . وقد تناول الأستاذ الحصرى بالتفنيد ما يذهب إليه بعض العلماء من شعوبية ابن خلدون وحملته على العرب . ولسنا بمعرض مناقشة آرائه الآن ، إلا أننا نتبه هنا إلى أن ابن خلدون كان متأثراً فى هذه الحملة بما قرأ فى رسائل إخوان الصفاء ... وفى الرسالة الحيوانية مصداق لهذا كله

وقبل أن ننتقل إلى الكلام عن الجزء الثانى لا نرى بداً من التنويه بما أفاض فيه الأستاذ الحصرى عن نظرية العصبية واتصالها بالاجتماع السياسى ، ومناقشته لآراء المؤلفين الأجانب الذين عنوا بابن خلدون بصدد هذه النظرية . إنه فصل يستحق الأستاذ عليه ألف تهنئة

***

أما الجزء الثانى من هـذه الدراسات العميقة القيمة عن ابن خلدون ، فلسنا نعدو الحق إذا قررنا أنه خير ما قرأناه هذا العام (١٩٤٤) فى المكتبة العربية من نوعه ، وإن كنا لا نطيق تأجيل عتبنا على الأستاذ لهجة التى ناقش بها آراء الدكتور طه حسين وخصوصاً تكراره ألفاظ : «ادعى فلان ، وادعاء فلان ، ويدعى فلان ، وحظ أقوال فلان من الحق والصواب ... ثم التعريض بمعلومات الدكتور العلمية حينما كان يكتب رسالته » إن هذا كله يثبت أن الأستاذ الجليل ساطع الحصرى كان متحمساً وهو يكتب مؤلفه الخالد ، فأوقعته حماسته فيما لا يناسب سجايا العلماء ولا سيما إن كانوا من طراز الأستاذ الحصرى ... ولندع ذلك الآن ...

تناول الجزء الثانى الكلام عن التطور التدريجى فى الطبيعة والمجتمعات وسبق ابن خلدون إلى إدراك مذهب النشوء والارتقاء قبل داروين بأحقاب طويلة ، كما تناول الكلام عن المذاهب الأساسية فى علم الاجتماع وما استحدث فى هذا العلم من نظريات شتى ، وما سبق إليه ابن خلدون من الإلماع إلى هذه النظريات ،

(١) المجلة الجديدة السنة الأولى العدد الثامن ١٩٣٠

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

آمال يحققها الهلالى باشا

إن قراء الرسالة عرفوا ما انتهت إليه قضية المدرسين بالمدارس الحرة ، فقد نشرت الجرائد اليومية خلاصة الخطاب التى ألقاها رفعة النحاس باشا ومعالى الهلالى باشا وسعادة الدكتور طه بك حسين ، ونقل المذياع تلك الخطب إلى جميع الأسماع

وأقول إن الذى يجب تسجيله هو تحقيق آمال المدرسين بالمدارس الحرة بعد أن كان تحقيقها من رابع المستحيلات ، فهذا الوزير نفسه كان يستصعب حل هذه القضية ، بدليل أنه لم يحلها في الوزارة الماضية ، ولو لم يوفقه الله فى هذه المرة لظلت تلك القضية عقدة العُقد ومشكلة المشكلات إلى آخر الزمان

كان الأمل الذى أطمح إليه هو تعيين المدرسين بالمدارس الأجنبية على وظائف تذكارية ، كالذى نصنع فى معاملة المدرسين الذين نرسلهم إلى الأقطار العربية ، وقد كتبت فى تزكية هذا الاقتراح عدة تقارير ، منها تقرير نشرته مجلة الرسالة منذ سنين بإمضاء مجهول

كان اقتراحى يبدو وكأنه طيف الخيال ، ولم أكن أصدّق أنه سيتحقق ، ثم كانت المعجزة الطريفة ، وهي جعل المدرسين جميعاً فى منزلة واحدة ، بلا تفرقة بين المدارس الحرة والمدارس

وأعترف بأنى أكاد أكذّب ما قرأت وما سمعت ، فهل من الحق أن وزارة المعارف رضيت وهى طائعة مختارة أن تجعل مدرسى المدارس الحرة فى منزلة مدرسى المدارس الأميرية ؟

أنا لا أصدّق ، فالمألوف أن تجود الحكومة بالخير بعد أن تُدعى إليه ألوف المرات ، ومدرسو المدارس الحرة لم يطلبوا يوماً مساواتهم بمدرسى المدارس الأميرية في جميع الحقوق ، وإنما طلبوا حقوقاً سهلة هينة لا تزعج وزارة المعارف ، وهل طلبوا غير الترفق فى تحديد المرتبات ، وكانت من الضآلة بمكان ؟

لأول مرة فى تاريخ الحكومة المصرية يُبذَل الخير ان لم

ثم ينتقل من هذا إلى الدولة وتطوراتها وعمرها واتساع نطاقها ، ثم ما قرره ابن خلدون عن الحروب وأصلها والجيوش ومراتبها ودواعى الانتصار أو الهزيمة وما يتصل بالدفاع عن الدولة ... على أن أبدع فصول هذا الجزء — ولعل ذلك فى رأيى — هى هذه التى تناول فيها الأستاذ المؤلف شرح آراء ابن خلدون وتحليله للنفس الإنسانية — وهو ما أؤكد للأستاذ أنه متأثر فيه أيضاً بآراء إخوان الصفاء — ثم هذه اللمحات الفريدة عن التربية والتعليم فيما يرى ابن خلدون وما جمعه الأستاذ المؤلف من المعلومات الطريفة عن أحوال التعليم فى عصره ، وما كان من حرية التعليم والتدريس وأنواع المساجد ، وعدم إشراف الحكومة الرسمي على التعليم إلا فى حدود « الحسبة » التى وصفها ابن خلدون بأنها « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأن من اختصاص موظفى الحسبة « الضرب على أيدى المعلمين فى المكاتب وغيرها ، فى الإبلاغ فى ضربهم للصبيان المتعلمين ! » . . . وأن مهنة التعليم فى عهد ابن خلدون كانت من مهن المستضعفين ؟ ! (ولا حول ولا قوة إلا بالله يا إخوانى المدرسين ! » ، ومذاهب كل من الأقطار الإسلامية فى تعليم الولدان ... إلى آخر ما لا يتسع المجال لذكره هنا مع طرافته وإمتاعه ...

* * *

وبعد ... فلا بد من كلمة عن عدم العناية بمراجعة الكتاب أثناء الطبع . ذلك الأمر الذى أذاع فى جوانبه الخطأ المطبعى ، ولم يسلمه من وقوع بعض التعبيرات التى انزلقت إلى انحرافات نحوية كان من الممكن تجنبها لأنها تعد من الهنات ، بل من الكبائر ، التى لا يصح وقوعها من كبار مؤلفينا ، وزعماء مفكرينا ... ولسنا نرى داعياً إلى ذكر شيء من هذه الانحرافات ، رجاء أن تنتهى الحرب قريباً فيطبع الكتاب طبعة أنيقة تليق بما يحمل من مادة خصبة وعلم غزير ... هذا ... وقد ابتدع الأستاذ المؤلف اشتقاقات ، ونحت نسَباً لا نرى ضيراً فى إقرارها ، وإن ثقلت فى السمع أول الأمر ، وذلك كعضوانى ونفسانى ، والنظرة الحياتية — أى البيولوجية ، والفلسجة الاجتماعية ، ومرفجة المجتمع Morphologie والسير العَقْلانى Rationaliste ... الخ ... إن لم يضع مجمعنا اللغوى كلمات أجود منها لمرادفاتها الأفرنجية .

دريني خشبة

يطلبوه ، وهذه أريحية جديدة لم نعرف لها مثيلاً فيما سلف من العهود

الهلالى باشا يقول إن النحاس باشا هو صاحب الفكرة ، والنحاس باشا يقول إن الهلالى هو صاحب الفكرة ، والنتيجة معروفة ، وهى أن هذين الرجلين يتسابقان إلى الخير تسابق الجياد ، أعزهما الله وكتب لهما دوام التوفيق

حكومة تثأر للأمة

قال الهلالى باشا فى خطبته إن الأمة كانت أسبق من الحكومة إلى نشر التعليم ، وتحدث عما صنع مصطفى كامل وسعد زغلول ، ولم يفته النص على جهود الجمعيات الخيرية وجهود الأفراد ، وهذه الالتفاتة هى أجل ما ورد فى خطبة الهلالى باشا ، لأنها صورت هذه الوزارة بصورة الحكومة التى تثأر للأمة ، وهذا معنًى جديد ، فقد كانت الحكومة تنظر إلى الأمة بمنظار يعف قلمى عن وصف مرآه الجميل !

تاريخ الجامعة المصرية

تحدث الهلالى باشا عن الجامعة المصرية الأولى ، الجامعة التى أنشأتها الأمة ، وقال إن حكومة ذلك العهد كانت تحارب الجامعة بحجة أن مصر لا تحتاج إلى جامعات وإنما تحتاج إلى كتاتيب !

فهل يذكر الهلالى باشا قيمة الإعانة التى كانت تقدمها وزارة المعارف إلى الجامعة المصرية بألفين اثنين من الجنيهات ، ومع هذا كانت تماطل فى الدفع ، والشواهد تحت يدى ، وسأقدمها إلى معالى الوزير إن أراد

لا موجب للتذكير بهذا التاريخ ، فما تمثله إلا توجعت مما كانت تصنع الحكومة فى مغايظة الأمة ... على تلك العهود ألف عفاء !

زكى مبارك وإعجاز القرآن

هذا عنوان الكلمة التى نشرها الأستاذ محمد احمد الغمراوى بمجلة الرسالة ، وهى كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات بقلم هذا الكاتب المفضال

هذا الكاتب يتحدانى لأشرح ما غاب عليه من أسرار كتاب « النثر الفنى » ، وهو يرجو أن يجد فرصة جديدة تؤيد غرامه باتهامى فى إسلامى

وأقول مرة ثانية إنى لا أقيم لتحديه أى ميزان ، ولن أعترف بأن من حقه أن يساجل صاحب النثر الفنى ، فقد ظهر أنه لم يفهم كتابى

قال هذا الكاتب إنه لا يبغى إلا أن يعرفنى الناس فيحذرونى ؛ وهذا القول مسروق من كلامى ، فقد نبهت الناس ألف مرة إلى أن يحذَروني ، لأنى لا أبالى فى الحق أى ملام ، ولا ألتفت إلى أوهام المتزمتين

ثم دعانى هذا الكاتب إلى التبرؤ من كتاب النثر الفنى

لبَّيك ثم لبَّيك ، يا كاتباً يدعو إلى تبرؤ الآباء من نجباء الأبناء

كتاب النثر الفنى كتابى ، وقد استكثره ناسٌ علىَّ فزعموا أنه من وحى الجن ، وليس بينى وبين الجِنة نسب حتى أستوحى ما عندهم من آراء وأهواء ، فهو كتابى ، وقد سطرته بيمينى فى فورة شبابى ، ولن أتبرأ منه ولو صرت معه إلى جهنم الحامية ، فسأكون به أشرف مذنب يصطلى نار السعير ، وفى جهنم مكان لأحرار الرجال

الجنة لا تستهوينى ، لأن الحياة فيها تخلو من المتاعب ، وأنا أكره الحياة الخالية من المتاعب

مضيت مرة للبحث عن مكان هادئ فى إحدى ضواحى باريس فوجدت بيتاً كتبت على بابه هاتان الكلمتان : tranquillité absolue فانزعجت ، لأنى أعرف أن الهدوء المطلق لا يكون إلا فى مساكن الأموات

وفى بغداد اخترت داراً يجاورها مصنع حديد ، لأفر من الهدوء المطلق

وبنيت دارى بمصر الجديدة فى مكان يجاور ضجيج الحياة ، ولأسمع اشتجار المعانى فى صدر الوجود

ماذا يقع إن كان مصيرى إلى جهنم ؟

تلك فرصة ثمينة أتذكر بها ذنوبى ، وأعرف أن لى وزناً عند فاطر الأرض والسماء ، وهل تكون جهنم نقمة وهى مكان التطهير من الذنوب ؟

ليس الدين هو الباعث على محاربتك ، إياى ، فهنالك باعث آخر هو غرامك بأن يقرن اسمك باسم الدكتور زكى مبارك

أنا مفطور على التسامح ، ولكنى لن أسامحك ، وسأدعو الله أن يغضب عليك ، إلا أن تتوب ، ولن تكون من التائبين

عند الله جزائى ، فقد أكون أول مؤمن يعلن الكفر ليصحح عقيدة الإيمان ... الله للمجاهدين ، فلا تصدقوا من يزعمون أن الله للمنافقين

الفتنة نائمة

لقيني الأستاذ إميل بك زيدان فى مكتبة المعارف فقال : « الفتنة نائمة » فابتسمت وقلت : « ولعن الله من أيقظها ! » ... فهل فهم جوابى ؟

إنه يشير إلى مقالاتى فى مصاولة بعض أدباء لبنان ، وأنا لم أكتب حرفاً واحداً فى إيذاء الأدباء اللبنانيين ، وإنما يتجنى فريق منهم علينا من يوم إلى يوم ، ويقعون فى أخطاء تنكرها الأذواق ، فهل ثار الأستاذ أميل زيدان على تلك الأخطاء ، وهو يعرف أن إخوانه هنالك هم الموقظون للفتنة والداعون إلى التفريق ؟

لقد تعبت فى معاتبة أولئك الرفاق ، فما استمع مستمع ولا أجاب مجيب ، فهل نلام على تذكيرهم بالواجب ؟ وهل يكون من إيقاظ الفتنة أن نصحح تاريخ الأدب الحديث بعد أن طغى عليه التحريف ؟

سأقول وأقول إن مصر هى باعثة الأدب العربى بعد أن طال عهده بالمجهود ، وسأذكر بالتفصيل ما أخذه الأدباء اللبنانيون عن الأدباء المصريين

نحن خلفاء العرب ، والمصحف لا يُطبع إلا فى بلادنا ، وسترفع راية العروبة فى جميع الميادين

من هؤلاء ؟

جاءت مجلة الأديب البيروتية وفيها اتهام صريح بالدعوة إلى التفريق ، اتهام موجه إلى « عُصبة » تدعو إلى عزل لبنان عن الأمة العربية ، وهى نفسها العصبة التى تتجنى على الأدباء المصريين من حين إلى حين

ولو كنت أعرف أن هذا هو رأى اللبنانيين فى تلك العصبة لكففت قلمى عما جرى فوق صفحات جريدة المصرى

ولهذا أعتذر لحضرة الأستاذ سهيل إدريس وأتلقى عتابه المنشور فى مجلة الرسالة بأحسن القبول

الآن عرفت أن التجنى على مصر لم يكن نزعة لبنانية ، وإنما هو نزوة تطوف برءوس حَرَّمها الله نعمة العقل ، وكتب عليها الخذلان

محمد فهيم

اشتركت فى الحفلة التى تقام لتكريم المربى الكبير الأستاذ محمد بك فهيم ، ولكنى لم أستطع الوصول إلى مكان الاحتفال بسبب الزحام ، فلم يبق إلا أن أحييه بهذه الكلمات

إن لهـذا الرجل تأثيراً فى حياتى الأدبية ، فهو الذى قهرنى قهراً على السفر لخدمة العلم فى العراق ، وكانت حجته أن وزارة المعارف العراقية طلبتني باسمي ، وأنه لا يجوز أن أرفض هذا التشريف ، وبهذا قضيت فى بغداد عاماً هو أجمل أعوام حياتى

وللأستاذ محمد بك فهيم خصائص يجهلها أكثر الناس ، فهو على تحضره وغناه لا يزال يقيم فى دار أبيه بجوار جامع شيخون ، وهو يتصل بالريف كل أسبوع ، بحيث يجوز أن أن نعده من أعيان الفلاحين

أما أدب النفس فخصيصة أساسية يمتاز بها هذا الرجل المهذب إلى أبعد حدود التهذيب

ولعل هذه الحفلة تردُّه بحرارتها إلى فورة العافية ، فقد سمعت أنه كان مرض بضعة أسابيع

محمد فهيم أحد رجالنا الأماجد ، وأنا أشترك فى تكريمه بهذه السطور ، وهي أقل ما يجب لمن يتحلى بمثل أدبه النفيس

زكى مبارك

صلات علمية
بين مصر والشام
في النصف الأول من القرن الثامن الهجري

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وما مناظرات ابن تيمية في مصر والشام إلا صورة مما كان يحدث في هذا العصر بين العلماء . وكانت الشغل الشاغل لهم ، وكأن أغلب القائمين بها من علماء السنة الذين وقفوا للمبتدعين بالمرصاد . كما كان بيت ابن تيمية هو البيت الديني الذي يحمل لواء أهل السنة ويتولى الرد على أهل البدعة . ويعاونه في ذلك أخواه شرف الدين وزين الدين . وقد كان لهما مناظرة في مجلس سلار نائب السلطان الناصر . فظهر شرف الدين بالحجة على مناظرهما ابن مخلوف المالكي . وكان الكلام هذه المرة في مسألة العرش وكلام الله وفي مسألة النزول .

ولقد حدثت بسبب هذه المناظرات فتن كثيرة في مصر والشام ، واهتاجت لها الخواطر الساكنة ، وانقسم الناس شيعاً كل واحدة تحارب غيرها ، وسجن كثير من العلماء لمجرد التقول عليهم أو إطلاق الألسنة فيهم . وخاصة في دمشق التي وقع فيها خبط كثير وتشويش . فنادى نائب السلطنة المصرية في الشام ألا يتكلم أحد في العقائد . ومن عاد حل ماله ودمه وصودرت داره وحانوته ؛ فهدأت الأحوال وسكنت الأمور

ولم يكن هذا الهدوء إلا لأجل قصير ؛ فقد عادت خصومة العلماء في صورة اتهامات توجه إلى الأبرياء وغير الأبرياء . وهي اتهامات كان أقل ما عليها من المجازاة أن يعزّر فيها المتهم تعزيراً عنيفاً ، ويطاف به في البلدة على حال منكرة ؛ كما حدث سنة ٧١٢ لابن زهرة المغربي الذي اتهمه بعض العلماء والصالحين باستهانته بالمصحف وخوضه في أهل العلم ، فطيف به في دمشق وعذب وحبس

والحق أن « تنكز » نائب السلطنة المصرية في الشام كان دائم القلق مما يحدث بين العلماء وأهل المذاهب والعقائد . وكان لا ينظر بعين الرضى إلى أمثال هذه الحركات التي تجعل بأس المسلمين واهيا . كان لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع بين المختلفين ؛ فحينما حدثت الفتنة سنة ٧١٦ بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد أصلح بينهم في مجلس حافل بدار نيابة السلطنة وخرج المتنازعون على خير حال من التفاهم

* * *

وكانت تقوم إلى جانب العلماء والمدرسين وظيفة الخطيب . وكانت الشهرة في المساجد الصغيرة كفيلة بإيصال الخطباء إلى المساجد الكبيرة ، كالجامع الأموي والأزهر ومساجد المدن الكبرى في الشام ومصر . وكان لكل بلدة خطيب مشهور بجانب عدد آخر من الخطباء المغمورين : فاشتهر بالخطابة في الجامع الأموي بدمشق الشيخ زين الدين الفارقي وتولاها بعد وفاته شرف الدين الفزاري . واشتهر بالخطابة في بعلبك ضياء الدين ابن عقيل وأبوه جمال الدين ، وقد توليا الخطابة في هذه البلدة ستين عاما . واشتهر بالخطابة في مصر بهاء الدين السكري وشمس الدين الجزري خطيب جامع ابن طولون ونور الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو بن العاص

ولم يكن للخطيب أن يقضي بين الناس أو يفصل في الخصومات فذلك شأن القاضي الذي يعينه قاضي القضاة . ولكن حدث أن خطباء انتدبوا لمهمة القضاء ، كما حدث أن بعض القضاة انتدبوا للخطابة . فنرى في حوادث سنة ٧٠٦ هـ في تاريخ ابن كثير أن سليمان بن هلال بن شبل الخطيب انتدب للقضاء بدلاً من القاضي جلال الدين القزويني الذي كلف بالخطابة عوضاً من القضاء

وكان بعض الخطباء يتولون التدريس ، كما أن بعض القضاة يجمعون بين الحكم والتدريس كالقاضي علي بن صفي الدين الحنفي الذي تولى قضاء الحنفية في دمشق مع ما بيده من التدريس

كان منتصف القرن الثامن الهجري مملوءاً بالأحداث الجسام

كما سلف القول ؛ فالتتار على أسوار دمشق ، وقبائل العرب فى مصر العليا شقت عصا الطاعة على الملك الناصر فى مدة سلطنته الثانية ، والصليبيون قدموا باتفاق أمير قبرص لغزو دمياط . والمماليك منقسمون على أنفسهم ؛ ففريق مع السلطان الناصر المتخلى عن عرشه ، وفريق آخر مع الأمير بيبرس ، وفى وسط هذه التيارات القوية نجد العلماء يحرضون على مقاتلة التتار ، ويدعون لمحاربة الصليبيين ، ويقيمون المناظرات الدينية عوداً إلى عهود الجدل والكلام ؛ ولكنهم مع ذلك كله لا يخوضون فى حديث السياسة الداخلية ، ولا يتكلمون فيمن تولى وفيمن عزل ؛ فذلك ليس من شأنهم ، فإذا نزل أحدهم ميدان السياسة عرض نفسه للعزل كما حدث لسليمان بن حمزة قاضى الحنابلة بدمشق الذى عزل بسبب تكلمه فى نزول الملك الناصر عن عرشه مكرهاً لا مخيراً ، وكما حدث للشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكى شيخ الشيوخ بمصر الذى كان على صلة بأمراء المماليك ، وكان له هوى سياسى معين ، فعزل عن منصبه الرفيع وعين بدلاً منه ابن جماعة المشهور

ولم تكن المرأة المصرية أو الشامية جملة بمعزل عن مجالس العلماء فى ذلك العصر ؛ بل كان بعض النساء يترددن على هذه المجالس ويستمعن إلى الدروس ويناقشن فى المسائل . فالسيدة فاطمة بنت عباس البغدادية كانت تحضر مجلس ابن تيمية ، وكان هو يستعد لها بسبب كثرة مسائلها وحسن أسئلتها وسرعة فهمها . ويذكر ابن كثير المؤرخ أنه سمع ابن تيمية – وكان معاصراً له – يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم . والشيخة الصالحة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد كانت تروى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث . وكانت تحدث الرجال بحديث الرسول عليه السلام

ولا شك أن ابن تيمية كان أشهر العلماء بين مصر والشام فى ذلك العصر ، فقد شغل الدنيا كلها بمسائله ومناظراته ومجالسه وقد جمع إلى ذكاء العقل وسرعة الفهم والشجاعة فى الحق وعدم الخشية فى سبيل الله . وله مع قازان ملك التتار مواقف مشهورة ذكرها الشيخ محمد البالسى زميله فى وفد العلماء إلى قازان . فقد قام ابن تيمية يهدر كالسيل لم يخش أحداً ولم يجامل سلطاناً ولم يتملق حاكماً . ولكن الله أجرى الصراحة على لسانه ؛ وأودع الشجاعة فى قلبه ، فإذا به يخاطب ملك التتار قائلاً : أنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت

ولد هذا الإمام بحران ونشأ وتعلم بدمشق ، ودرس بغزة وأوذى أولاً وأكرم أخيراً فى مصر ، وتوفى بقلعة دمشق بالقاعة التى كان محبوساً فيها أيام محنته الأولى بعد أن أكد صلات العلم والدين بين القطرين الشقيقين فى الربع الأول من القرن الثامن الهجرى .

محمد عبد الغنى حسن

منشأ عقيدة الزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

كانت الخلافة من أهم الأمور التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، ذلك لأن الخليفة هو الذي يتولى أمور المسلمين الدينية والدنيوية . وهذا مقام رفيع دونه كل مقام في الإسلام يطمع فيه القوي . وقد تطاحنت الأسر القرشية في سبيلها منذ صدر الإسلام . وحاول كل حزب أن يجعل له صبغة دينية يقوى مركزه بها بين الأحزاب المعارضة ، فظهر في الإسلام فرق وطوائف عديدة كان الكثير منها دعوة دنيوية ولكنها تسير تحت ستار من الدين . وبعد القضاء على الحركة تبقى صبغتها الدينية بين أتباعها وتستحيل إلى مذهب ديني . وعلى مر الدهور يتطور هذا المذهب ويدخله الأساطير والتعاليم الشاذة . وربما استحال إلى دعوة هدامة أو مذهب مغال أو فرقة باطنية منفصلة عن الإسلام . والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذا . فحركات الخوارج ، وحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والفاطمية والدروز ، والنصيرية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال

وأصل اليزيدية فرقة إسلامية أموية سارت باسم الدين إلى مناصرة بني أمية في الخلافة والدفاع عنهم وناوأت « آل البيت » — أقوى حزب ناضل الأمويين — وعلى مر العصور تطورت إلى فرقة صوفية « عدوية » على يد رجل أموي ، ففرقة مغالية في حب « يزيد بن معاوية » ، ففرقة خارجة عن الإسلام . كل ذلك كان في سبيل الخلافة وإرجاعها إلى بني أمية بعد سقوط دولتهم في الشرق

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة هو النزاع بين العلويين والأمويين . ذلك لأن العداوة بين بني أمية وبني هاشم قديمة . ففي الجاهليـة تنازعوا على زعامة مكة . وفي الإسلام تجدد النزاع على الخلافة بعد مقتل « عثمان » فشق على الحزب الأموي أن تخرج الخلافة منهم بعد أن نالوها ، خاصة وأن « الإمام علياً » عزل ولاة « عثمان » فهل يرضى « معاوية » أن يترك « الشام » وما فيها من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد أن حكمها عشرين عاماً ؟ أنكر بيعة « علي » ودعا لنفسه واستعمل دهاءه وكرمه في جلب دهاة العرب إليه فقوى أمره ، وبعد مقتل الإمام « علي » تنازل « الحسن » عن الخلافة وصار الحزب الأموي هو الحاكم المطلق في الدولة

ولم يكن « معاوية » بالخليفة المستضعف ، بل ساس الناس بحلمه وجوده . فعفا عن المذنب وتجاوز عن المسيء وأغدق عطاياه على كل قاصد ، كما سل سيفه على من لم تنفع معه هذه الطرق ، فانقاد له الناس راغبين أو راهبين

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه « يزيد » على كره من أولاد الصحابة فثارت الأحزاب المعارضة ، وأشدها الحزب العلوي فكانت فاجعة « كربلاء » التي أججت الأحقاد ؛ واستمرت الثورات العلوية حتى انقراض الدولة الأموية وكانت هذه الثورات من أهم العوامل التي قوضت أركان الدولة

وبعد سقوط الدولة الأموية انعكست الآية فانتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات فإنهم لم يخلصوا من التمثيل بهم . وصار الحزب الأموي هو المستضعف في البلاد . وأخذ الأمويون يلجأون إلى الجبال والأماكن النائية عن النفوذ العباسي . ولكنهم لم يعدموا الأنصار ، كما أنهم لم ييأسوا من الخلافة ، بل أحيوا النعرة الدينية التي كانت لحزبهم وأخذوا يزيدون عليها . ونراهم قد قلدوا العلويين أو من قام باسمهم في ادعاءاتهم هذه . وهذه النعرة الدينية لحزبهم كانت منذ أول عهدهم بالخلافة تسير أثر الدعوة العلوية ؛ ولكن الأمويين خلال حكمهم لم يهتموا بها لاعتمادهم على بطشهم ونفوذهم . وأما بعد سقوط دولتهم فإنهم صاروا مستضعفين في الأرض فتدرعوا بالدين ليستروا تحته دعوتهم للدنيا . وهذا أول ظهور الطائفة اليزيدية .

ومن الأدلة التي تثبت أن أصل العقيدة اليزيدية هي حركة أموية مضادة لآل البيت :

١ — يوم عاشوراء : في هذا اليوم قتل « الحسين » عليه السلام فهو يوم كرب وبلاء على العلويين يظهرون فيه من العزاء والنياحة والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا نشاهد مثله في غيره من الأيام . ونجد الضد من هذا عند الأمويين ، فإن الحجاج سن لأهل « الشام » أن يتخذوا هذا

اليوم يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلوى ، ويتخذون الأوانى الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ليرغموا بذلك شيعة « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه . واستمر الأمر على ذلك عند الحزب الأموى بعد سقوط دولتهم ، وهذا ما نراه عند اليزيدية فإنهم يتخذون هذا اليوم يوم سرور يخرجون زينتهم إلى ظاهر قراهم ويرقصون رقصاتهم الشعبية على ضرب الطبول ونقر الدفوف ، ويمرحون ويلعبون ؛ ويصورون تماثيل من الطين لشهداء كربلاء يهجمون عليها برماحهم ويفتكون بها ويطؤونها بخيولهم . كل ذلك لأن إلـهم « يزيد » ظفر بعدوه « الحسين » فى هذا اليوم وقتله .

٢ — المهدى المنتظر والسفيانى المنتظر : يعتقد الشيعة أن المهدى المنتظر سيظهر فى آخر الزمان وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وادعى الأمويون مقابل هـذا : أنه سيظهر من أولاد أبى سفيان من يكون أمره كأمر « المهدى المنتظر » وهو «السفيانى المنتظر» . وزاد تعلق الأمويين بهذا الادعاء بعد سقوط دولتهم فصاروا يترقبون ظهوره . وقد ذكر « المسعودى » أنه وجد ببلاد « طبرية » من بلاد الأردن فى سنة ٣٢٤ هـ أحد علمائهم وقد ألف كتاباً بهذا وأنه ذكر فيه « من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفيانى فى الوادى اليابس من أرض الشام ، وأنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف الخ ... » وهـذا ما نجده عند اليزيدية ، فإنهم يعتقدون أن « عدياً » وهو رجل أموى سيظهر فى آخر الزمان وسيكون أمره كما تقدم ، ويسميه بعضهم بالمهدى . وعندهم طبقة دينية يسمون « خدام المهدى »

٣ — يذهب الحزب العلوى أن « علياً » وأولاده أحق بالخلافة وأن الحسين قتل مظلوماً . وبالضد من هـذا يدعى الأمويون أنهم أحق بالخلافة وأن الحسين قتل بسيف الحق لأنه خرج على الإمام المبايع . وأخذ كل فريق يعزز مدعاه ويغالى فى تعظيم الذى يدعو إليه ، ويحاول أن ينقص من قيمة الحزب المعارض . وما زال هذا الأمر والمغالاة تزداد عند الفريقين حتى أدى إلى أن تعتقد بعض الفروق المغالية أن علياً أحق بالنبوة من محمد ، وأن البعض الآخر ذهب إلى أعظم من هذا ، فادعى ألوهيته . وكذا الأمر فى « يزيد » فإن مناصريه ادعوا أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة ، وأنه كان من أولياء الله تعالى ، ثم اعتقدوا أنه كان من الأنبياء وقالوا « من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم » ، ثم ذهبوا إلى أعظم من هذا فقالوا بألوهيته . وهذا ما يعتقده اليزيدية أن « يزيد بن معاوية » هو إلههم . ونجد قرى « الشيك » والتركان ، والصارلية ، والجيجية حول الموصل ، والبابوات فى قضاء سنجار ، وهم الذين يغالون فى « الإمام على » على مقربة من مواطن اليزيدية الذين يؤلهون « يزيد بن معاوية »

٤ — اللعن : بعد أن خدع « عمرو بن العاص » « أبا موسى الأشعرى » فى مؤتمر « اذرح » صار « الإمام على » يلعن معاوية وعمراً ومن والاهما بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل . وبعد مقتل « الإمام على » استمر الأمويون يلعنون أبا تراب بعد خطبة صلاة الجمعة . ولما تولى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة رفع هذه السنة السيئة ووضع مكانها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية » ، ولكن بعض أنصار الحزب الأموى المغالين لم ينتهوا عن هذا . فأهل « حرّان » امتنعوا عن الصلاة وقالوا : « لا صلاة إلا بلعن أبى تراب » واستمروا على ذلك ، حتى ظهور الدعوة العباسية . وكان العلويون يقابلون هذا اللعن بأكثر منه ، وزادوا فيه بعد واقعة « كربلاء » ، وصار اللعن يوجه بصورة خاصة إلى « يزيد » . أما الشيخ « عدى » فإنه لـما رأى تفاقم الأمر عند الفريقين ، وأن هذا مناف للتعاليم الإسـلامية ، وأن من الصعب أن يكف أحد الحزبين عن لعن الآخر ، حرم اللعن مطلقاً . ولـكن الفكرة تطورت إلى أبعد من هذا عند اليزيدية ، فإنهم حرموا اللعن حتى على الشيطان . ومع أن اللعن صار من المحرمات عندهم ؛ فإن يزيدية (جبل مقلوب) استمروا على الطعن فى على وأولاده فى أيام الجمعة والعيدين ، كما كانت عليه العادة فى الدولة الأموية . وكان فيهم فرقة مغالية جداً فى اللعن تقف مصلتة السيوف وتلعن « علياً » وأولاده ، ويقال لهم « السيّافة » واستمر الأمر على ذلك إلى القرن الحادى عشر الهجرى

(للحديث صلة)

سعيد الديوه جى
بالموصل

سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

- ٢ -

عشاق

مدينة عُشّاق فى داخل بلاد الأناضول خلف ميناء أزمير ، وهى — وما يحيط بها من البلاد والقرى — مشهورة بصناعة السجاد حتى وقتنا الحاضر ، وإن كانت الصلة قد انقطعت بين السجاد القديم الذى كان ينسج بها منذ بداية القرن السادس عشر حتى سنة ١٧٥٠ ، وبين السجاد المنسوج بعد هذا التاريخ ، إذ أن الأخير تأثر كثيراً بالذوق الأوربى

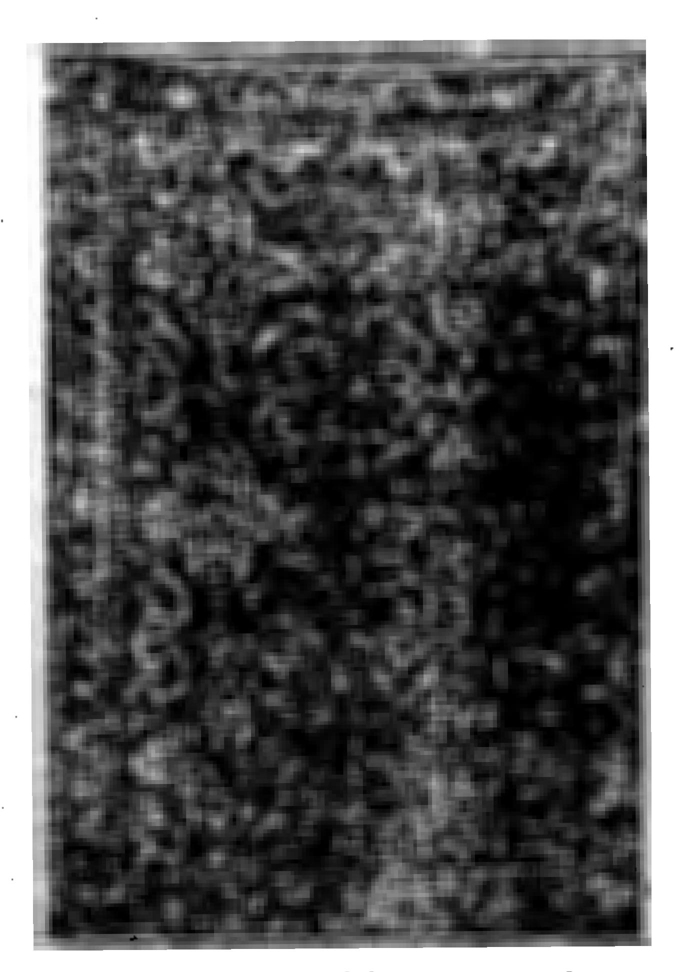
ويشبه سجاد عُشّاق القديم من حيث زخارفه السجاد الإيرانى المنسوج فى أوائل العصر الصفوى . وتتألف زخرفته من أشكال نجمية كبيرة ، أو من جامات بيضاوية مدببة الطرفين ، تذكرنا بالوحدات الزخرفية المستعملة فى تذهيب المصاحف ، وتزين الأركان بأربعة أنصاف جامات ؛ وتنتشر على الأرضية زخارف نباتية دقيقة وفروع مهذبة . ويزخرف إطار السجاد بفروع مزهرة أو بسحب صينية . أما ألوانه فهى أناضولية فى جلتها ، ويمتاز بالألوان الدافئة ، فتلون الأرضية بالأزرق القاتم ، والإطار بالأحمر الباهت أو بالعكس ، والزخارف بالأصفر والأخضر النباتى والأزرق الفاتح والأبيض الناصع

ويختلف سجاد عشاق فى مساحاته فيبلغ أحياناً التسعة أمتار طولاً وما يناسب ذلك فى العرض

وفى المعرض المقام الآن فى دار الآثار العربية عدة نماذج طيبة من سجاد عشاق

هولباين

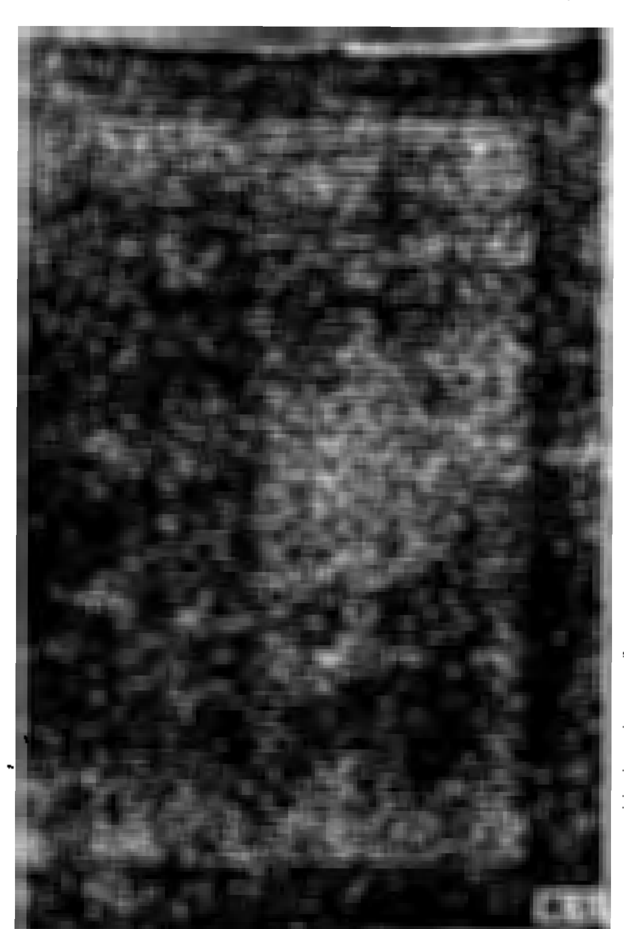
هو اسم لعائلة من مدينة « بال » اشتهر بعض أبنائها فيما بين سنتى ١٤٦٠ و ١٥٤٣ بالرسم والتصوير . ويسمى هذا النوع من السجاد المصنوع فى الأناضول باسم « هولباين » لأننا نراه مرسوماً فى الكثير من لوحات أبناء هذه العائلة ، ولوحات المصورين الإيطاليين المعاصرين لهم . ويظهر أنه كان النوع المحبب لدى الأوربيين فى ذلك الوقت ، والغالب أنه كان يصنع فى بلاد الأناضول للتصدير إلى أوربا ، لأن ما عثر عليه منه فى بلاد الشرق قليل جداً



(شكل ١)

ويمتاز هذا السجاد بعنصر زخرفى خاص به ، يمكن تمييزه بسهولة ، ويتألف من رسوم نباتية ذات مظهر تنقصه المرونة ، مرسومة فى خطوط مستقيمة وزوايا محددة ، بطريقة مهذبة تميل فى شكلها نحو الرسوم الهندسية ، وفى وحدات زخرفية متماثلة يقرب بعضها من بعض . ويزين الإطار فى القديم منه بما يشبه الكتابة الكوفية ، وفى المتأخر — من أوائل القرن السابع عشر — بفروع نباتية أو بسحب صينية مهذبة على طريقة الأناضول . وتلون الأرضية غالباً باللون الأحمر الباهت ، والزخارف باللون الأصفر الذهبى ، والإطار بالأزرق القاتم

وفى (شكل ١) بساط من أوائل القرن السابع عشر ، أرضيته بالأحمر الباهت عليها بالأصفر الذهبي وحدات زخرفية من نوع هولباين ، والإطار باللون الأزرق القاتم ، تزينه فروع نباتية مهذبة . وهذا البساط في مجموعة المسيو كريستيان جراند .



(شكل ٢)

الأبسطة ذات الطيور

تعرف بهذا الاسم لأنها تزين بوحدة زخرفية تتألف من شكل هندسي بطرفين مدببين يشبه كل منها رأس طائر ، وتتكرر هذه الوحدة الزخرفية — في الغالب — على أرضية بيضاء . ويشبه إطارها إطار الأنواع الأخرى القديمة . ويرجع تاريخ هذا النوع إلى ما بين أوائل القرن السادس عشر ومنتصف السابع عشر .

وفى مجموعة معالى الدكتور على إبراهيم باشا بساط من هذا النوع معروض الآن في دار الآثار العربية

تشنتماني

لهذا النوع من السجاد صلة كبيرة بالنوع السابق ذى الطيور . فكل منهما يماثل الآخر في شكل زخرفة الإطار الذى يحيط غالباً بأرضية بيضاء عليها نوع من زخرفة رمزية ، كما أن كل منهما يصنع في بلاد الأناضول ومعاصر للآخر

ويمتاز هذا النوع بتكرار الوحدة الزخرفية المعروفة باسم « تشنتماني » وتتألف من خطين متموجين أو متعرجين ، ويعلوهما ثلاث كور في وضع مثلث الشكل . وهذه الكور الثلاث هي إحدى العلامات المقدسة في تعاليم ديانة البوذيين ، وترى كثيراً على التحف الصينية ، وقد كانت كذلك مرسومة على رنك القائد العظيم تيمورلنك عند ما فتح الأناضول في سنة ١٤٠٢م ، وقد يفسر هذا ظهور وحدة « تشنتماني » الزخرفية في سجاد الأناضول

وفى (شكل ٢) بساط من أواخر القرن السادس عشر ، أرضيته بيضاء ، تتكرر عليها وحدة « تشنتماني » ، وإطاره مزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية . وهو في مجموعة معالى الدكتور على ابراهيم باشا .

(يتبع) محمد مصطفى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٢٢ — ولا يوم الطين ...

قال لسان الدين بن الخطيب : رأت زوجة المعتمد بن عباد الرميكية الملقبة ب (اعتماد) ذات يوم بأشبيلية ، نساء البادية يبعن اللبن في القُرب ، وهن رافعات عن سوقهن في الطين . فقالت له : يا سيدي ، أشتهي أن أفعل أنا وجواريّ مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طيناً في القصر ، وجعل لها قرباً وحبالاً من أبريسم ، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين . ولما خلع ، وكانت تتكلم معه مرة، جرى بينهما ما يجرى بين الزوجين فقالت له : والله ما رأيت منك خيراً قط، فقال لها : ولا يوم الطين ...؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذى أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله ، فاستحيت وسكتت

٥٢٣ — فهات شرابك العطر العجيبا

فى (الشرح الكبير للشريشى) : كان أبو محمد البصرى تاب وحج ، فلما قفل راجعاً بدا له فى شرب الخمر فقال :

ألا يا هندُ ، قد قضَّيتُ حجّى
فهاتِ شرابَكِ العَطِرَ العجيبا[1]
فقد ذهبت ذنوبى بالليالى
فقوى الآن نقترف الذنوبا ...

٥٢٤ — فإن الحد قد جاوز الحدا ...

فى (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلى فى سنة (٦٦٧) أمر السلطان (الظاهر بيبرس) بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطئ بالديار المصرية ، وكتب بذلك إلى جميع بلاده ، وأمسك كاتباً يقال له : ابن الكازرونى وهو سكران ، فصلبه ، وفى عنقه جرة الخمر ! فقال الحكيم ابن دانيال :

وقد كان حدُّ السكر من قبل صلبه
خفيفَ الأذى إذ كان فى شرعنا جَلْدا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبى :
ألا تُبْ؛ فإن (الحدّ) قد جاوز الحدا![1]

٥٢٥ — الصريح لا يعارضه بالمؤول

قال الصفدى فى شرح لامية العجم : أنشدت بعض المولعين بالكيمياء قول القائل :

أعيا الفلاسفةَ الماضين فى الحِقَبِ
أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة
إلا من الفضة المعروفة النسب
فقل لطالبها من غير معدنها :
أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لى : صدق . لو لم يكن الذى يدبره الصانع فى أصله ذهباً بالقوة لما صار ذهباً بالفعل . فقلت له : هذا من باب التأويل وإخراج اللفظ الظاهر عن الصريح إلى ما لا يفهم منه إلا بالاحتمال؛ والصريح لا يعارض بالمُؤَوَّل[2]، ولو أراد الإنسان أن يحمل معلقة امرىء القيس مرثية فى قط ، أو غزلاً فى فيل ، لما أعجزه ذلك ...

٥٢٦ — حمى الروح

قال بعض الملوك لطبيب : جس نبضى ، فجسه ، فقال له : مزاجك معتدل ، إلا أنى أرى فيه تكديراً . فهل جالسك اليوم ثقيل ؟ قال : نعم.

قال له : لا تعد تجالس الثقلاء فإنهم حُمَّى الروح

٥٢٧ — وذا يقول استرحنا

قال السبكى : أنشدنى بعضهم فى قاضيين عُزل أحدهما وولى الآخر :

عندى حديث ظريف
بمثله يُتغنَّى
فى قاضيين يُعزَّى
هذا ، وهذا يُهنَّا
هذا يقول : أُجبِرْنا
وذا يقول استرَحْنا
ويكذبان جميعاً
ومن يصدق منا ؟

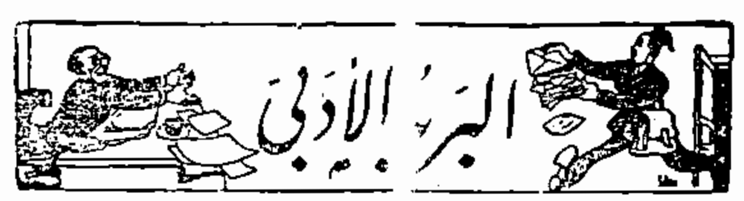
محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) هات : هاتى ، حذف الياء ضرورة

(١) (فان الحد) الحد : العقوبة ، فى (التاج) الحد تأديب المذنب بما يمنعه عن المعاودة ، ويمنع غيره من إتيان الذنب ، وحددت الرجل أقمت عليه الحد .

(٢) قال الصفدى : حكى لى بعض الفضلاء أن (ابن تيمية) كان كثير الحط على (ابن عربى) فقيل له : إن هنا إنساناً يخرج جميع ما تنكره عليه ، ويرده بالتأويل إلى ما يوافق ظاهر الشريعة ، فاتفق اجتماعهما فى مكان واحد ، فقال له : ما الذى تفهم من قول ابن عربى : (دخلت لجة بحر ، الأنبياء وقوف بساحله) فقال له : صدق ، لأن الأنبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق ...



قنا وأسوان

ما زال السيل الجارف من التبرعات الكريمة ينهال على منكوبي قنا وأسوان ، كما تنهال سحابات الماء على اللاهث المحرور فتنعش من روحه ومن بدنه . وما برحت جهود الحكومة وعلى رأسها مليكنا المعظم تتوالى على القوم بما يكشف ضرهم ويخفف من بلواهم . وإن العوامل التي تحفزنا إلى معونة هؤلاء البائسين لمتعددة ومعروفة ؛ ولكن قد نضيف إليها عاملاً جديداً بما نحاوله هنا من الإشارة إلى حال هذا الإقليم من الرقى والرفاهة في سابق عهوده .

فقد غبرت قرون كثيرة وتلك المنطقة من صعيد مصر تكاد تبزُّ سائر المناطق خصباً وحضارة علماً ورقياً وعمراناً . وكانت أسماء المرج وسمهود وبهجورة وقاو ودشنا وهوّ وفَرْجوط وقنا وقِفْط ونقادة وقوص وقولا والأقصر وأرمنت وأسفون وإسنا وأدفو وأسوان — تحتل كلها رأس القائمة بين كبريات المدن التي يؤمها أهل الوطن أو النازحون إليه من سائر الأقاليم . فثمت كان العلم والمال والجاه جميعاً . وهنالك كان الهدى والغنى لمن يلتمس أحدهما أو كليهما ، على حد قول قائلهم — في أسوان(١) :

أسوان في الأرض نصف دائرة والخير فيها والشر قد جُمعا
تصلح للناسك التقى إذا أقام ، والفاتك الخليع معا !

وكانت خصوبة هذا الإقليم وعذوبة مائه مما يضرب بهما المثل ، ولا تستنكر عند ذكرهما المبالغة . قال السديد الدمياطي : انتهيت في السفر في الوجه القبلي إلى هوّ ، وبين مائها وماء مصر كماء بسكر وماء صرف !

وقد ذكر كمال الدين الأدفوي صاحب كتاب (الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) أن الفدان في هذا الإقليم ينتج ثلاثين إردباً من البرسيم ومن الشعير أربعين ، ومن الذرة أربعة وعشرين أو ما يقارب ذلك

(١) هو كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

وذكر أيضاً أن منطقة إسنا أنتجت في بعض السنين أربعين ألف إردب تمراً ، واثني عشر ألف إردب من الزبيب . وأنه تحصل من مدينة أسوان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ألف إردب من التمر . قال : « وأخبرت أن نخلة بالقوسة من عمل المرج ، وأخرى بقمولا ، حصل من كل منهما اثنا عشر إردباً من التمر »

وكان عنب هذا الإقليم — كسائر فاكهته — من أعجب ما وقع عليه الناس . وزنوا حبةً منه بمدينة أدفو فبلغت عشرة دراهم ، كما روى الأدفوي في موضع من كتابه المذكور

وقال في موضع آخر إن بطيخ هذه البلاد وافر الحجم « بحيث ما يكاد يستقلُّ بحمل الحبة الواحدة إلا الرجل الشديد القوة »

هذا وقد كان طريق الحج بين قنا وعيذاب مما يزيد في تقدم هذا الإقليم وثراء أهله ؛ ومنه اجتاز أكثر الرحالين المشهورين على فترات من التاريخ متباعدة

وإن الحديث ليطول على من يحاول التنويه ببعض من أنجبت هذه البلاد من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين ، وغير أولئك من ذوي الفضل والجاه . فلنكتف — الآن — بهذه الأثارة من تاريخ القوم وبلادهم ؛ ولنعلم أنها بلاد كانت من العز والنعمة بمكان فشقيت وذلت ؛ وأنه لم يكن عجيباً — في فترة ما — أن يهتف شاعر من أبنائها ضاقت نفسه بإقفار مدائن الشمال ؛ فيقول صادقاً(١) :

لهفي على قوصٍ ولو أنني أكون من حُرّاس أبنائها !

(جرجا) محمود عزت عرفة

مجمع فؤاد الملكي للغة العربية

اجتمع مؤتمر المجمع ستة أسابيع متوالية من ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ عقد خلالها ثماني عشرة جلسة شهدها حضرات الأعضاء المقيمين بمصر والوافدين من الخارج

وقد عرضت خلال هذه الجلسات طائفة من المسائل ، منها :

(١) هو تاج الدين محمد بن أحمد الدشناني (المولود في قوص والمتوفى بها سنة ٧٢٣ هـ) تصدر للتدريس فترة ما بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة .

ما يتعلق بالمصطلحات العلمية فى علوم الجراثيم والأمراض والرمد وغير ذلك من فروع الطب ، ثم فى مصطلحات لمقدمة القانون والأموال والالتزامات وغيرها من فروع القانون فأبديت فى بعضها ملاحظات ، وقرر المؤتمر أن يتولى حضرات الأعضاء الممثلين للبلاد العربية عرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختصة فى بلادهم لموافاة المجمع بالرأى فيها ، كما قرر أن يتصل المجمع بالهيئات الرسمية فى البلاد العربية لهذا الغرض

وكذلك نظر المؤتمر فى اقتراحات مختلفة منها ما يتعلق بوضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم على أسلوب ميسر يقتصر فيه على شرح المفردات اللغوية شرحاً دقيقاً وافياً . فوافق المؤتمر عليه وألف لجنة لذلك

ومنها ما يتعلق بقياسية بعض الصيغ الصوفية التى يحتاج إلى استعمالها بكثرة فأقرها المؤتمر معتمداً فى ذلك على أقوال بعض علماء الصرف والاشتقاق

ومنها ما يتعلق بتيسير بعض قواعد اللغة ومثلها فقرر المؤتمر أن يحال هذا الاقتراح وما دار فيه من مناقشات إلى لجنة الأصول لدرسه مفصلاً وتقديم تقرير بما تراه إلى المؤتمر فى اجتماعه المقبل

ومن الاقتراحات كذلك ما يتصل بتيسير الكتابة العربية إما بوصل علامات للحركة والسكون ببنية الحروف ، وإما باتخاذ حروف لاتينية تضم إليها بعض الحروف العربية ، وناقش المؤتمر هذين الموضوعين ورأى أن ينشر ما قيل فيهما من آراء وردود فى مختلف الهيئات العلمية بمصر وغيرها لكى يتيسر للجنة المختصة جمع ما يمكن جمعه من الآراء المختلفة فيهما وما قد يرد إليها من مقترحات أخرى فى هذا الموضوع وذلك تمهيداً لوضع تقرير يعرض على المؤتمر فى اجتماعه المقبل

واقترح أن يطلب وضع جائزة مالية لمن يقترح من غير أعضاء المؤتمر مشروعاً فى ذلك ينال القبول .

١ — الشعر الجديد وطاقات الرجال والورد والنقد

ما عرفتُ أستاذنا الكبير « ا . ع » ورعاً عند اللقاء هيوباً ؛ ولا عرفته جبان القلب نكس اللسان . فهو يستطيع فى عفة قول ، وشرف كلام ، وصواب منطق ، وحسن نية أن يوجه المتخلفين من شعراء هذا الزمان إلى قصد الطريق

وليس بعذر من أستاذنا الكبير — ا . ع — أنه يتهيب ألسنة الشعراء المنقودين أو يخشى عواءهم . فمن كان مثل الأستاذ فى المكانة والقصد لا يضيره عواء ولا هراء

ومتى كان المعلمون الأفاضل وشيوخ اللغة والأدب يتوقون ما يجره عليهم النقد من اجتراء السفهاء وسلاطة النوكى ؟

الحق أن الأستاذ الفلسطينى الجليل ، والأستاذ المصرى الكبير ، هما أجلُّ قدراً من أن يتأثرا بما يتعرضان له من خصومة المغرورين من شعراء زماننا ؛ وهما — فى الوقت نفسه — أكبر من أن يضنا على « الشعر الجديد » بتوجيه سديد ورأى مفيد

أما إرسال الكلام على وجه التعميم ، من غير أن تبيَّن مواضع النقد ، فذلك ما لا يُرجى معه للشعر صلاح

وإنى لأعرف من صراحة الأستاذين : « الجليل » و « الكبير » ما يُطمعنى فى الرجاء منهما أن يفصِّلا النقد ، ويبينا القصد . وبذا تكون لهما على الشعر الحديث يدٌ أىُّ يد ؟ والسلام عليهما ورحمة الله

٢ — أقوى من الموت

هذا الكتاب ألفه أيليا أهرنبورغ ، وترجمه قدرى قلعجى ونشرته مجلة الطريق ببيروت

والكتاب قوى العبارة ، كأن كاتبه استمد من نيران الحرب ، ولفح المعارك لفح عبارته . فقد كان فى باريس يوم دخلها الألمان ، وشهد بعض المواقع فى روسيا ، ورأى بعينيه روعة التضامن فى معارك « رجيف »

وأسلوب الكاتب لاذع حاد . وكأن الأستاذ قدرى قلعجى أمين فى نقل تلك السلاطة والحدة إلى اللغة العربية ...

وفى الكتاب تصوير لمواقف رائعة فى سهول روسيا ووديانها . وجميل من المؤلف أن يكون وفياً لوطنه وهو على شفا حفرة من الموت . وجميل من المترجم الفاضل أن يترجم هذه المواقف الرائعة إلى اللسان العربى ؛ ولكن أجمل من ذلك كله أن يتجه المترجم إلى مواقع اليرموك والقادسية وحصن بابليون وذات الصوارى فإنه واجد فيها أمثلة رائعة من البطولة العربية التى تبرز على حال من الروعة فى مثل قلمه البليغ وأسلوبه الطريف .

محمد محمد النقى

١ — تلاقى الأكفاء

يمتاز الأستاذ الزميل على أدهم بتعمقه فى جميع الدراسات التى يتناولها وحسن هضمه لهذه الدراسات ، فهو من خيرة الكتاب ذوى الاطلاع الواسع فى مصر وفى الشرق العربى . وكتابه الجديد (تلاق الأكفاء) شاهد على ما تقول . وقد جمع فيه بحوثه القيمة التى نشرت من قبل أو لم تنشر فى الأدب والتاريخ فسد بها فى المكتبة العربية فراغاً ملحوظاً ... ولست أدرى إن كان يحق لى أن أقترح على زميلى العزيز أن يكرس جهوده كلها للتاريخ الإسلامي ؟ وهل يتقبل منى هذا الاقتراح الذى لا ينتقص شيئاً من سعة اطلاعه على التاريخ العام ؟ إن قلم الأستاذ أدهم فى التاريخ الإسلامى هو قلم ممتاز واسع الإحاطة ، جميل العرض وخليق بالقلم الذى أنشأ صقر قريش ، والمنصور بن أبى عامر (إن صح أن أبشر بظهوره قبل أن يصدر قريباً إن شاء الله) ، وهذه الفصول الضافية التى شملها (تلاق الأكفاء) عن أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى والحكم أمير الأندلس وبطل وقعة الزاب عبد الله بن على ... خليق بهذا القلم أن يفرغ للتاريخ الإسلامى العتيد فيدبج من فصوله كثيراً من الروائع التى أوشكت اليوم أن تنسى . وكم كنا نتمنى لو تذكر الأستاذ المؤلف مصر والمصريين فيترجم فى مجموعته البديعة لزوج أو زوجين من أكفائها الذين لا يقلون عبقرية عمن ترجم لهم وقابل بينهم ... مثل : محمد على والسيد عمر مكرم ، أو محمد على والبرديسى ، أو اسماعيل المظلم واسماعيل المفتش ، أو مصطفى كامل وعلى يوسف ، أو المتنبي وكافور ... إلى آخر ما يزخر به التاريخ المصرى من الأبطال الذين تلاقوا وجهاً لوجه ، وعسى أن يستدرك هذا فى أجزاء الكتاب التالية مع تهنئاتنا الخالصة وإعجابنا الشديد .

٢ — ألوان من الحب

هكذا سمى الأستاذ عبد الرحمن صدقى مجموعة قصصه المترجمة الجديدة . وقراء الرسالة والرواية يذكرون قلم الأستاذ صدقى بمزيد الإعجاب ، ويذكرون أنه جيد الاختيار لقصصه إلى حد يثير الدهش ، وغرامه الذى لا يحد بالقصاصين الروس والأسبان والفرنسيين معروف مشهور ، وقد اختار لنا فى هذه المجموعة طائفة لزعماء الأقصوصة وأبطالها وقصرها على موضوع واحد هو ... الحب ... ويدفعنا الفضول إلى سؤال الأستاذ عما أدى به إلى إغفال القصاصين الإيطاليين والإنجليز فلم يضمن مجموعته شيئاً من روائعهم ... فهل هو فاعل فى الأجزاء التالية إن شاء الله ؟ أما أسلوب صدقي الفنى وقدرته على الوصف فسنعرض لها فى غير هذا العدد ... وكم كنا نؤثر لو أنه تناول بالشرح هذا الفيض الكثير من الكلمات المغربة فى ذيل الصحيفة توخياً لمنفعة القراء دون استثناء وتفادياً لانصرافهم عن البحث عن معانيها بالرغم من أنها ثروة لا تقدر بثمن عند من يعنى بكلمات الأوصاف وعباراتها فى اللغة العربية ... ولا غرو أن كل من يقرأ ألواناً من الحب سوف ينتفع بها سواء أكان قارئاً عادياً أو شاباً أو أديباً ، فتى أو فتاة ... إنها دروس فى تطهير القلب وإرهاف الحس وتقويم الخلق ... فلا تبذل فيها ولا إسفاف .

درينى خشبة

فى شرح الشعر ذى الرقم (٥٢٠) « فى أفل الأدب »

يسقيكها من كفه أحور كأنها من خــــده تعصر